الأدب الصوفي

الدرس الثالث: قضايا الأدب الصوفي

أ–قضايا معرفية:

1–**الحب** : وهو أساس الحالة الروحية في التجربة الصوفية وهو أوّل درجات الارتقاء الصوفي نحو معرفة الله والاتحاد به، وقد عرف في الشعر بالغزل الإلهي ، هذا الأخير هو عندهم رمز للحب الصوفي الذي يبدأ بالاهتيام وهو نوع من التصوف وقد صنف الصوفيون المحبة الصوفية في قسم الأحوال فهي حال يتشرف بها الصوفي إذ تمثل دليل الاختصاص ونتيجة الاصطفاء والاخلاص وهي التعلّق بالمحبوب والإعراض عن الخلق.

2–**قضية المعرفة** : ابتكر الصوفيون معرفة خاصة بهم هي معرفة الله حيث يتّم تحصيل هذه المعرفة العقلية التي قال بها الفلاسفة المسلمون ووصفوها بالإيجابية في حين وصفوا المعرفة الصوفية بالسلبية لأنّها تعتمد على الخيال وعلى الرّغم من اعتماد هذه المعرفة على الذوق فإنّ تحصيلها يمرّ بمراحل معقدّة وطويلة يخوض فيها السالك أحوالا لا تحصى ولا توصف ، ومعرفة الله هي معرفة قلبية تعتمد على الحدس و الإلهام وهما هبة من الله وأداة المعرفة عند المتصوفة هي القلب وموطنه الروح والروح الإنسان الكامل هو خليفة الله في الأرض ،حيث يؤمنون أنّ الوجود الإنساني أبعد من المادة و يؤمنون بالغيب وإمكانية الاتصال به عن طريق القلب و النّفس والروح.

3– **قضية الخيال** : وهو عندهم عالم لا يراه إلاّ المتصوف لذلك يولد النّص الصوفي غير مطابق لأيّ قاعدة خارجية واقعية فهو مختلف وخصوصيته تكمن في اختلافه ، والخيال يشمل قدرات عديدة كالحاسة السادسة والتخاطر بعد التنبؤ.....

يقوم الفكر الصوفي على الخيال لأنّ الصوفية تجربة روحية نفسية لا شأن للعقل والمنطق والجسد بها ،وقد شكّل الخيال عنصرا أساسيا في نصوصهم عن طريق الإيحاء بالفكرة بتعبير غير صريح لإحداث أعظم درجة من الانفعال ، وتوظيف الصور البيانية ، كما أنّهم ينشغلون بالمضمون أكثر من انشغالهم بالشكل .

الخيال الصوفي وسيلة للمزاوجة بين الفلسفة والأدب ، الأمر الذي جعل النّص الصوفي يتّسم بالعمق وتعدد المعاني.

قضية الجدل : وهو عنصر بارز في أدب الصوفيين تجلى في المتناقضات : حياة –موت، حزن–فرح ،بداية ونهاية ، روح وجسد .

قضية الكمال : رفع الصوفيون من مكانة الإنسان بتقديس الجانب الروحي و الفكري ، فعن طريق الروح يمكن أن يكون الإنسان خليفة على الأرض ،حيث ينطلقون في اعتقادهم هذا من الحديث الشريف (إنّ الله خلق آدم على صورته) ، فأكمل نشأة في الموجودات هي الإنسان وهي تظهر اهتمام الصوفيين بفكرة الإنسان الكامل خاصة وإعلاء شأنه وشأن المسؤولية الملقاة على عاتقه وهي الكشف عن الكون ، وللإنسان الكامل عندهم مترادفات منها العقل الأوّل ، الحقيقة المحمدية ،والإنسان عندهم وسيط بأخذ العلم والمعرفة عن الله وينشرها بين البشر.

2– القضايا التعبيرية :

اللفظ و المعنى : بما أنّ التجربة الصوفية هي جولة في مناطق مجهولة من الفكر والروح والنفس كان بديهيا أن يستقي الأدب الصوفي من مناطق مجهولة من اللفظ والمعنى والصورة حتى يصف هذه التجربة على أنّها تجربة في المعنى لأنّها تجربة في الوجود وفي إحساس الإنسان بالكون وهو كذلك ما جعلهم يوحدون بين اللفظ والمعنى.

الرمز : هو الأساس الذي يقوم عليه الأدب الصوفي حيث استعملوه لحاجتهم التعبير عن معان ومشاهد وإحساسات نفسية لا عهد للغة بها ولا بالتعبير عنها ، فهو تلميح إلى ما يريدون قوله حيث يحاولون محاكاة رؤاهم ونقل تصوراتهم عن المجهول وعن الكون والإنسان ووصف العلاقة بين الإنسان والله وبينه وبين الكون وينقسم إلى الرمز الذهني وهو مبني على اللقاء بين الله والصوفي(مخفي) والرمز الحسي وهو رمز مباشر كرمز الطير أو الفراش والرمز المجازي وهو الإيحاء والإشارة ومنه الاستعارة والكناية والمجاز المرسل .

ومن الرموز عندهم:

المرأة: يعبرون بها عن حبهم ، وبواسطة الغزل بالمؤنث عبّر الصوفي عن تجلي الكمال الإلهي في الكون وعن حبه عشقه الجميل ،حيث بجل المرأة تبجيلا نادرا إذ يرون فيها أجمل تجليات الوجود (أصبحت رمزا للنفس التي تصبح معرفتها مدخلا لمعرفة الله والكون .)

رمز الطير : بنيت قصص ورسائل كاملة في التراث الصوفي الإسلامي على رمز الطير، فقد رمز العطار للنفوس البشرية بالطيور وكل طير يمتلك معرفة ويحمل رسالة يريد إيصالها والطيور هي الأرواح التي هجرت مواطنها الأصلية في السماء ونزلت إلى الأرض وحين أحسّت بالغربة في مكانها الطيني أرادت العودة إلى مواطنها الأولى.

-الهدهد-العنقاء رمز للهيولى

-العقاب رمز لمرتبة العقل الأول

-الورقاء رمز للنفس الكلية (تأثرهم بأفكار الفلاسفة العرب)

-**رمز النور** وهو من أسماء الله الحسنى

-**رمز الماء** وهو الحياة ومن الرموز المشتقة **رمز البحر** الذي يعبّر عن اتّساع المعرفة والعلم الإلهيين – **الألواح** رمز الشوق و المحبة- **المراكب** رمز العبادات .

رمز الخمر : وهي العلم والمعرفة وهي الحب وهو موجود بشكليه الصريح والتلميحي لمعاناتهم حالي السكر والصحو، والسكر حالة عالية يصل إليها الصوفي بعد أن يمرّ بمقامات اللاذوق –الشرب –الري-فالسكر غيبة تسببها رغبة جامحة في لقاء الله ورهبة هذا اللقاء واندهاش و ذهول ،فيغتني باطنه بمشاعر اليقظة والوله والشوق على الفناء والبقاء في الله، كما استخدموا في وصف هذا الارتقاء أيضا **رمز المعراج** .